سلسلة من الكوارث الرأسمالية
التي يجب اللا يدفع ثمنها الطبقة الشغيلة

لقد دخلنا في أزمة خانقة، ربما تكون الاضخم في تاريخ الرأسمالية. أزمة انفجرت بسبب انتشار فيروس كوفيذ 19 بجميع انحاء العالم. هذا الفيروس هو نتاج طبيعي، لكن أصول كل هذه الفيروسات يعود إلى مجموعة من الأنشطة الرأسمالية وهي: تعرية الغابات على أوسع نطاق، التربية المكثفة للحيوانات والزراعة ـ الصناعية، استلاب الأراضي بدول جنوب العالم من أجل الزراعات الأحادية، تبذير وتدمير الأراضي من اجل البحث عن المعادن النادرة، التحضر المجنون. هذا الفعل العدواني في حق الطبيعة، خاصة المناطق البرية منها، خلق ويخلق أجواء مثالية للفيروسات، كوفيد 19 على سبيل المثال، إنه، أي الفعل العدواني، لم ينتج هذا الفيروس فحسب بل انتج، في العقدين الأخيرين، غيرها من الاوبئة. وما التلوث المزمن للهواء، الذي خلق الظروف المواتية لانتشار الفيروسات، إلا نتاجا آخر من انتاجات الرأسمالية.

لذا نقول إن كوفيد 19 هو فيروس *رأسمالي*. كما أن الأزمتين الصحية والاقتصادية اللتين تلته هما أزمتين *رأسماليتين*. فقد لجأت كل الحكومات إلى فرض تدابير استثنائية سواء الحكومة الصينة او الإيطالية ونظيرتيهما في كل أوروبا، وأخيرا حكومة الولايات المتحدة الامريكية. لان الأنظمة الصحية التابعة لهذه البلدان *لم تكن* مهيأة لمواجهة وباء من هذا النوع.

عدم استعداد الدول الأوروبية، على رأسهم إيطاليا، فيها شيء من *الاجرام* لأن منظمة الصحة العالمية والعلماء المقربين إلى الطبقة الشغيلة قد تنبؤوا منذ سنوات بهذا الوباء على المستوى الدولي. إنها، أي هذه الدول، وعلى رأسهم دائما ايطاليا، لم تضع صحة الشعوب على رأس الأولويات مطلقا، فما بالك بصحة الشغيلين. فرأس أولوياتها كان هو فائض القيمة وموازنة ميزانية الدولة، وتخفيض نفقة القطاع الصحي لصالح نفقة الجيش وانهيار التدابير لدعم الشركات، ففي إيطاليا كان عدد الأسرة في سنوات الثمانينات هو 530.000 سرير في المستشفيات العمومية، وفي سنة 2017 تقلص عدد الأسرة ليصل إلى 191.000: في الوقت الذي ارتفع فيه عدد السكان بـ 4-5 مليون. في بلد يفتخر بكونه يتصدر المرتبة 7-8 في القوة الصناعية بالعالم، في حين أنه في اللحظة التي انفجر فيها الوباء كان عدد الاسرة بالعناية المركزة هو 5.000 فقط، بالإضافة الى أن هناك خصاص في الأطباء، وخصاص في الممرضين، وخصاص في الأجنحة المتخصصة اللازمة.

جريمة *عدم الاستعداد* هذه جعلت حكومة كونتي في حالة رعب. وعززت الفوضى والغطرسة التي على أساسهما تم اتخاذ تدابير، تزداد حدة يوما عن يوم، لفرض الحجر الصحي على الساكنة، من أجل منع الانتشار السريع للوباء مع الانهيار التام لمرافق الصحة العمومية. وقد بدأت حكومات باقي الدول الأوروبية بدورها التحرك بالتدريج، على نفس النهج، لإخفاء اخطائهم. هناك خصاص كبير في الكمامات وأجهزة التنفس في كل من ميلانو ومدريد وباريس كما هو عليه الحال بلندن، حيث لا يوجد هناك مكان شاغر في المستشفيات؛ وفي المقابل، هناك فائض في القاذفات المقاتلة وفي الدبابات.

تم اتخاذ تدابير حجر صحي جد صارمة في حق الساكنة في إيطاليا، *لكن* ولأكثر من شهر، اضطر ملايين العمال، والحمالين والبائعات، والموظفين في أنشطة لا تعد بشيء من الوظائف الأساسية، للذهاب إلى العمل في ظل غياب أبسط الاحتياطات *بضغط* من أرباب العمل ومن الحكومة. تتحدث الحكومة ووسائل الإعلام عن الحرب ضد الفيروس، لكن الحرب الموجودة في الواجهة ليست إلا حربا *ضد ملايين الشغيلين والشغيلات* اضطروا للمخاطرة بحياتهم، وتستهيل- رغما عنهم – انتشار الوباء. مع زعماء عصابات كونفيندوستريا لومبارديا والفينتو وعصابات كونفيرتا اللتان تتصدران القائمة في المطالبة برخص القتل.

كان فقط قرار عمال المصانع والحمالين وشغلي الخدمات اللوجيستيكية في اقرارهم الجماعي البقاء في البيت أو خوض اضراب هو الذي فرض على محور ارباب العمل – الحكومة التجميد المؤقت للانشطة غير الأساسية. وفي الأخير فالطبقة الشغيلة لا تملك خيارات أخرى: *يجب عليها أن تدافع عن سلامتها الصحية فليس هناك من سيدافع لها عنها*. لا يمكن ان تنتظر هدية لا من الحكومة ولا من أرباب العمل.

أظهرت الدولة، ذات المرافق الصحية غير الفعالة تماما (إلى حد أنها التجأت لطلب المساعدة من الخارج)، فعاليتها التامة فقط في التدابير التقييدية والقمعية التي قام ويقوم بها كل من رجال الأمن والشرطة والجيش، وحراس السجون. رمزية "حالة الطوارئ" هذه، التي تحاول الدولة من خلالها البحث عن ابتلاع اية فظاعة، هو اللامبالاة والصمت المطبق على المعتقلين 13 الذين لقوا حتفهم خلال انتفاضات السجون، حيث أنه من المستبعد أن يكونوا قد انتحروا كلهم. فقد استخدمت الحكومة العنف في السجون من أجل تبليغ تحذير واضح ذو طبيعة عامة: لا يمكن التسامح مع التمرد الاجتماعي، ومن يتحدى الدولة سيواجه أجهزتها الأمنية، التي ستعيد النظام (الرأسمالي) بأي ثمن.

وقد أسفرت ازمة فيروس كورونا في نفس الوقت عن *أزمة عالمية خانقة*، التي لم نشاهد حجم عمقها بعد. وقد بدأت أولا الأسواق العالمية في الانهيار، لتعرف بعدها صعودا ونزولا بشكل جنوني تماما كدوامة قطار الملاهي، هذا لأن قروش الرأسمال المالي كانوا قد راهنوا بمبالغ ضخمة على النمو للامتناهي للاقتصاد. ومسهم الذعر حينما فهموا أن الطريق شاق جدا وسيؤدي لا محالة إلى حالة الركود الحادة، التي قد تعصف بأرباحهم الخارقة.

وبما أن رأسماليو العالم وحكوماتهم مازلوا غارقين في فوضى لا يمكن تصور أبعادها، فقد بدؤوا في إعداد خطط *لتفريغ الكوارث التي أنتجوها على كاهل الطبقة الشغيلة*. وقلقهم الأساسي هو: انقاذ الشركات، وانقاذ البنوك. لهذا بدؤوا بايفاد الالاف المليارات من اليورو والدولار، مثقلين كاهل الدول بديون ضخمة ديون سيحملوننا نحن تبعاتها. فمشهد 2008 يعيد نفسه: لا لإزالة الأسباب الهيكلية للأزمة، لكن نعم لنمو الرأسمال الوهمي والمضاربات المالية وما يترتب عنه من الأخطار المتضاعفة للفشل المتتالي.

تفترض القوى القوية أن تسفر الأزمة عن التسريح الجماعي من العمل، وعن عدد كبير من الجماهير العاطلة، وصراعات طبقية محتدمة. لهذا بدؤوا في اتقان آليات المراقبة القديمة منها والجديدة والقمع الشامل للتصدي لأية محاولة تمرد في مهدها، يمكن ان

يقوم بها المستغلون. *حلمهم*، أي حلم كونفيندوستريا وحلم كل – دون استثناء – الأحزاب التي تجلس في البرلمان، اليمين واليسار والوسط، هو *تحويل أزمة نظامهم الاجتماعي الى أزمة الطبقة الشغيلة، أي أزمة دموع ودم.*

وغاية برامجهم هي جعل المهاجرين النازحين والمهاجرات النازحات من يسدد القدر الأكبر من الثمن، بالإضافة الى شعوب الشرق الأوسط وافريقيا وامريكا الجنوبية بشن سلسلة من الحروب الجديدة، والحصارات وكل أشكال الابتزاز النيوكولونيالي للاستحواذ على ثرواتهم. فمن أجل إعادة تجميع الرأسمال كل شيء ممكن في برنامجهم ولا شيء *مستبعد* على الاطلاق، يمكن القيام حتى بمجازر عالمية جديدة. ليس من المصادفة ان يكون المصطلح الذي تم الطرق به هذه الأيام الحالكة هو: *حرب*. نحن في حالة حرب"، "اقتصاد الحرب"، مع كل أنواع الجعجعة القومية والعنصرية المرافقة لها.

تستطيع الطبقات الشغيلة في كل انحاء العالم بل يجب عليها أن تفتت هذا الحلم الرأسمالي، فهو بالنسبة لها وبالنسبة للإنسانية جمعاء *افظع كابوس على الاطلاق*. ولا تستطيع أزمة النظام الرأسمالي ولا يجب عليها أن ترخي بظلالها على أكتاف الطبقات الشغيلة. هذه الكارثة المزدوجة ليست محض صدفة، ولا خليطا غامضا لعوامل بعينها ولا مؤامرات سرية: بل هي "عمل رائع"، تحفة بكليتها وفي مجملها لنظام اجتماعي منحط، وهرم، هو نتاج عدوانية هذا النظام اللامحدودة اتجاه الأرض والطبيعة، ولكل لمن يعيش بقوت عمله (مستغلا ومضطهدا)، بل لكل الاجناس البشرية، التي تعتبر حياتهم اليوم في خطر.

فتحت هذه الكارثة المزدوجة مرحلة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية المهولة، ووضعت الطبقة الشغيلة أمام *خيار صعب*: النزول الى الهاوية حيث كل أشكال العبودية، أو أن تخوض اكبر معركة تاريخية للتحرر من الرأسمالية، التي أصبحت حتما أكثر وحشية وفتكا من كل الفيروسات.

لقد بدأت هذه المعركة بالفعل من اليوم، هي معركة الدفاع الفعال عن صحتنا، وقد لعبت نقابة سي كوباس، مرة أخرى دورا رائدا فيها. وعليها ان تواصل – حالة الطوارئ الصحية لم تنتهي – حتى تفرض معايير حماية صحية أكثر فعالية للشغالين وللساكنة؛ وحتى تفرض خطة استثنائية للتوظيف في مجال الصحة العامة مع القضاء النهائي على العمل المهمش، والمصادرة الفورية لهياكل الرعاية الصحية الخاصة دون تعويض. عليها الاستمرار في النضال لتمنع أي فصل من العمل، وتفرض الحق في اجور الحجر الصحي الكاملة حتى للشغيلين بعقد مؤقت الذي ستنتهي صلاحيته قريبا؛ من اجل الحصول على اجر مضمون للجماهير العاطلة؛ من أجل الحماية الحقيقية -كما لم يكن الامر عليه حتى الان- للنساء الشغيلات المجبرات في عدة حالات على الاختيار بين العمل ورعاية الأطفال؛ من اجل الحصول على تصريح الإقامة غير المشروط واجر مضمون للشغيلات النازحات العاملات في مجال الرعاية اللواتي فقدن العمل. عليها. أي نقابة السي كوباس، الاستمرار في النضال لتسليط الضوء على المسؤوليات الكبرى لسلطة الدولة والمصالح الجشعة للشركات الخاصة في تدمير نظام الصحة العمومي، خاصة في حالة الحداد المتوالية اليوم. المواجهة الشرسة اليوم لمطالب كل من ارباب العمل ومطالب الحكومة اللتان تروجان فرض الاستمرارية القصوى للإنتاج، وتسطير هذه المطالب من اليوم، والبدء في التنظيم من اليوم، هي دائما وأبدا افضل الوعود من اجل الاستعداد لمرحلة ما بعد "حالة الطوارئ"، أي عندما تتجلى الازمة بكل عمقها، وتحتدم المواجهة الطبقية لتحقيق هذه الأهداف وغيرها على الاوسع نطاقا.

لا يمكن ان نقبل ان تمنح للشركات والبنوك أي نوع من الحرية، بينما يتم انكار حق التجمع، وحق الاضراب، وحق المكوث في البيت حتى لا نصبحوا فئران التجربة. لا يمكننا ان نقبل ان تتم عسكرة الحياة الاجتماعية والحياة في أماكن العمل باسم حالة الطوارئ.

نبدأ أيضا بحل حبل المشنقة، بإحداث العجز، والعجز، والعجز الذي ستكون نتائجه قاتلة فيما بعد على الطبقة المأجورة، كما كان عليه الحال في سياسة "التقشف" والتضحية من جانب واحد في العقود الأخيرة، مع ما رافق ذلك من الاستقطاب الهائل للثروة الاجتماعية وشن تدابير ضريبية سخية لصالح الراسمالية. لمدة عقود، باسم ضرورة تقليص ديون الدولة، تم اقتراف مجزرة اجتماعية بعينها، بداية من قانون فورنيرو Fornero انتهاء الى قانون العمل والى الميثاق المالي Jobs Act Fiscal Compact.

ناهيك عن مرسومي مينيتي وسالفيني MinnitiوSalvini اللذان اصابا المهاجرين النازحين، طالبي اللجوء والمناضلين الطلائعيين، بقوة، بل انهما اصابا كل الطبقة الشغيلة بعمق.

نقترح مقابل الوصفة الراسمالية بتضخيمها لديون الدولة، التي هي في حقيقة الامر ديون طبقة، ديوننا، ضرورة فرض *ضريبة الأملاك*، بسحب ما قيمته 10 في المائة ل 10 في المائة من اغنياء الساكنة، التي راكمت ثروة ضخمة على اكتافنا. هذه الضريبة قد تضمن الموارد الضرورية (400 مليار يورو) لمواجهة *الطوارئ الاجتماعية الحقيقية* وجها لوجه. انه الوقت المناسب لبداية *مصادرة المصادرين*، ليس فقط ثرواتهم المتراكمة، ولكن *حتى سلطتهم في ضبط حياتنا، ضبط حريتنا و مستقبلنا*. ولفرض بقوة هذا المطلب السياسي، نريد ان نوجه دعوة عالمية للتمرد في أي مكان في العالم على الطبقات التي راكمت، ليس في إيطاليا فحسب، رأسمالا ضخما وقوة جبارة قادتنا فيما بعد إلى حافة الهاوية.

سنرى أحزاب الحكومة (الحزب الديمقراطي وخمس نجوم) وأحزاب المعارضة اليمينية، تحاول التوحد في اتفاق الوحدة الوطنية الممول للف حبل حول عنقنا لشنقنا ومنع أي شكل من اشكال الاستقلال الطبقي الحقيقي. نرد مقترحين، بدورنا، إمكانية استئناف النضال والاستقلال الطبقي على أوسع نطاق واقتراح انشاء جبهة بروليتارية معادية للرأسمالية، التي ستوحد القوى التي تعتزم النضال الحقيقي ضد الاستعمال الراسمالي "لحالة الطوارئ " الحالية.

يبين عمق هذه الأزمة انه لا يوجد هناك خلاص للطبقات الشغيلة في قلب الرأسمالية، التي تستطيع تجاوز كوارثها فقط بإحداث كوارث أكثر تدميرا. خلاص الطبقات الشغيلة تمر من اكبر التقلبات الاجتماعية التي تحققها الجماهير المستغلة والمضطهدة التي تصير فيما بعد ابطالا في التاريخ الانساني. رأينا في السنوات الأخيرة انتفاضات مهيبة خاصة بامريكا الجنوبية وفي العالم العربي والشرق الأوسط. والان، رغم ذلك، مع انفجار هذه الأزمة العالمية للنظام الراسمالي، فحقل المستغلين برمته هو عصا الرحى.

ويجب عليه التنظيم على المستوى السياسي: بروليتاري وبروليتاريات/ شمال وجنوب العالم، السكان الأصليين والساكنات الاصليات والمهاجرين النازحين والمهاجرات النازحات، توحدوا كقبضة يد واحدة!

26 مارس 2020

الاسفين الأحمر –Gcr - صفحات ماركسية
النزعة الأممية الثورية
المختبر السياسي Iskra

Il cuneo rosso – Gcr – Pagine marxiste
Tendenza internazionalista rivoluzionaria
Laboratorio politico Iskra